

وَجَعَلُوا الصِّفَةَ هِيَ الْمَوْصُوفُ<sup>[١١]</sup>، فَجَعَلُوا الْعِلْمَ عَيْنَ الْعَالِمِ مُكَابَرَةً لِلْقَضَايَا  
الْبَدِيهَاتِ.

وَجَعَلُوا هَذِهِ الصِّفَةَ هِيَ الْأُخْرَى<sup>[١٢]</sup>، .....

أو غير ملوّن، أو ليّن أو يابس؛ فالمهم لا بُدَّ أن يكون له صِفَةٌ، أمّا أن يُوجَدَ شيءٌ ليس  
له صِفَةٌ فهذا مُتَمَنِّع، لكن قد تَتَخَيَّلُ في ذَهْنِكَ أنَّ شيئاً يُوجَدُ ولا صِفَةَ له، مثل الَّذي  
يَحْلُمُ بالليل أنه يُوجَدُ شيءٌ ليس له صِفَةٌ، ولكنّه لا يَفْرِضُهُ الذَّهْنُ، وهو مَوْجُودٌ في  
الخارج؟ هو ليس بمَوْجُودٍ، كما أَنَّكَ تَفَرِّضُ إنساناً يَمْشِي على رَأْسِهِ من القَصِيمِ إلى  
مَكَّةَ، يمكن أن تَفَرِّضَ هذا، لكنّه لا يوجَدُ في الواقع؟!

وَيُمْكِنُ أن تَفَرِّضَ أن نَمَلَةً تَقْتَلِعُ جَبَلًا من مكانِهِ وتمثِّي به، لكن لا يمكن أن  
يوجَدَ في الخارج.

[١١] قوله: «وَجَعَلُوا الصِّفَةَ هِيَ الْمَوْصُوفُ»، أي: جعلوا صِفَةَ الشَّيْءِ هِيَ  
الشَّيْءُ، فَجَعَلُوا الْعِلْمَ عَيْنَ الْعَالِمِ، وهذا لا يَصِحُّ.

فإذا قيل: فلانٌ عنده مالٌ كثيرٌ فهو غَنِيٌّ، فالغنى صِفَةٌ، لكنها ليست هي نفس  
المَوْصُوفِ، ولهذا نقول: ذو غِنًى؛ أي: صاحبُ غِنًى، والمضاف غيرُ المضاف إليه، فهم:

أولاً: جَعَلُوا الْإِلَهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمَوْجُودَ الْمُطْلَقَ بشرطِ الإطلاق.

ثانياً: «جَعَلُوا الْعِلْمَ عَيْنَ الْعَالِمِ» وهذا «مُكَابَرَةٌ لِلْقَضَايَا الْبَدِيهَاتِ» الَّتِي تُعْلَمُ  
بمسائلِ العقلِ بدون أي تكلف.

[١٢] ثالثاً: وَجَعَلُوا هَذِهِ الصِّفَةَ -أي صِفَةً من صِفَاتِ اللَّهِ- هِيَ الْأُخْرَى.

فَلَمْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْمَشِيئَةِ<sup>[١]</sup>، جَحَدًا لِلْعُلُومِ الضَّرُورِيَّاتِ<sup>[٢]</sup>.  
وَقَارَبَهُمْ طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ<sup>[٣]</sup> مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ<sup>[٤]</sup> مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ<sup>[٥]</sup> وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ؛ .....

[١] قالوا: العلمُ والقُدرةُ والمشيئةُ والعِزةُ والحِكمةُ، وكلُّ الصِّفَاتِ هي عبارة عن صِفةٍ واحدةٍ؛ لأنَّهم يزعمون أنَّهم لو قالوا: إنَّ الصِّفَاتِ مُتَعَدَّةٌ لَزِمَ تعدُّدُ الموصوفِ، فيجبُ أن تكونَ الصِّفَاتِ واحدةً، فالسمعُ هو البصرُ، وهو العلمُ، وهو القُدرةُ، وهو المشيئةُ، وهو العِزةُ.

[٢] يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «جَحَدًا لِلْعُلُومِ الضَّرُورِيَّاتِ» يعني: أن العلمَ الضروريَّ يُنكَرُ هذا الكلامَ.

فالإنسان يدركُ صِفةَ العلمِ وصِفةَ الحركةِ، فلو رأى مجنونًا يتحرَّكُ لم يستنكر لتباينِ الصِّفَتَيْنِ، وبالعكس؛ فكَم من إنسانٍ عالمٍ لا يستطيعُ أن يتحرَّكَ، وكَم من إنسانٍ قادرٍ وقويٍّ وهو غيرُ عالمٍ، بل أجهلُ الناسِ يفرِّقُ بين العلمِ والقُدرةِ، كذلك السَّمعِ والبصرِ.

[٣] قوله: «وَقَارَبَهُمْ طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ» هذه طائفةٌ أهونُ السابقتين.

[٤] قوله: «مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ» الَّذِينَ يتكلمُونَ في العقائدِ والطُّرُقِ النَّظَرِيَّةِ دونَ الطُّرُقِ النَّقْلِيَّةِ، الَّذِينَ يحاولُونَ أن يثبتُوا العَقِيدَةَ بطريقِ النَّظَرِ لا بطريقِ الاثَرِ، هؤلاءُ هُمُ أَهْلُ الكلامِ الَّذِينَ بَنَوْا عَقِيدَتَهُمْ ليس على الكتابِ والسُّنَّةِ، وَلَكِنْ على الأمورِ والنظرياتِ الَّتِي يزعمونها عقلاً وليست بعقلٍ.

[٥] الْمُعْتَزِلَةُ: هُمُ أَصْحَابُ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ الَّذِي اعْتَزَلَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ رَحِمَهُ اللهُ لما ذكر حُكْمَ الإِسْلَامِ أو قولَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في المؤمنِ والكافرِ، وأنَّ فاعِلَ الكبيرةِ

فَأَثْبَتُوا لِلَّهِ الْأَسْمَاءَ دُونَ مَا تَتَضَمَّنُهُ مِنَ الصِّفَاتِ<sup>[١]</sup>.

فَمِنْهُمْ: مَنْ جَعَلَ الْعَلِيمَ وَالْقَدِيرَ، وَالسَّمِيعَ، وَالْبَصِيرَ كَالْأَعْلَامِ الْمُحْضَةِ  
الْمُتَرَادِفَاتِ<sup>[٢]</sup>.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، قَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ، سَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ وَلَا  
بَصَرٍ، فَأَثْبَتُوا الْإِسْمَ دُونَ مَا تَتَضَمَّنُهُ مِنَ الصِّفَاتِ<sup>[٣]</sup>.

مُؤْمِنٌ نَاقِضُ الْإِيمَانِ، فَقَالَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ: إِنْ فَاعَلَ الْكَبِيرَةَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ،  
وَحَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَسَنِ مَشَادَّةٌ، ثُمَّ قَامَ فَاعْتَرَلَ الْحَسَنَ، وَلِهَذَا جَاءَتْ تَسْمِيَةُ الْمُعْتَزَلَةِ.

[١] أَثْبَتُوا لِلَّهِ الْأَسْمَاءَ دُونَ مَا تَتَضَمَّنُهَا مِنَ الصِّفَاتِ، اللَّهُ تَعَالَى سَمَّى نَفْسَهُ بِالْعَلِيمِ  
وَالْحَكِيمِ وَالْعَزِيزِ وَالرَّحِيمِ وَالرَّحْمَنِ وَالْخَبِيرِ وَاللَّطِيفِ إِلَى آخِرِ الْأَسْمَاءِ، هَؤُلَاءِ أَقَرُّوا  
بِالْأَسْمَاءِ، وَطَبَعًا هُمْ إِذَا أَقَرُّوا بِالْأَسْمَاءِ فَقَدْ أَقَرُّوا بِالسَّمَى، فَيَقُولُونَ: إِنْ اللَّهُ مَوْجُودٌ،  
وَأَنَّهُ مُسَمًّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، لَكِنَّهُمْ وَقَعُوا فِي خَطَأٍ، يَذْكُرُهُ الْمُؤَلِّفُ فِيهَا بَعْدُ.

[٢] هَذَا هُوَ خَطَأُ الْمُعْتَزَلَةِ، فَهُمْ جَعَلُوا هَذِهِ الْأَسْمَاءَ أَسْمَاءً جَامِدَةً مُتَرَادِفَةً، لَا تَدُلُّ  
إِلَّا عَلَى الْعَيْنِ فَقَطْ، وَلَا تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى.

يَقُولُونَ: هَذَا الْإِسْمُ الْقَدِيرُ وَالسَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَهُ سَمْعٌ  
أَوْ بَصَرٌ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، أَوْ لَا تَدُلُّ أَصْلًا عَلَى مَعْنَى مُتَغَايِرٍ، فَهِيَ أَعْلَامٌ مُتَرَادِفَةٌ فَقَطْ  
لَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى مُتَغَايِرٍ، قَالُوا: فَهُوَ كَالْأَسَدِ يُسَمَّى أَسَدًا، وَلَيْثًا وَهَزْبَرًا إِلَى آخِرِهِ، فَهَذِهِ  
الْأَسْمَاءُ مُتَرَادِفَةٌ، أَعْلَامٌ فَقَطْ، لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ.

[٣] وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْعِلْمُ غَيْرُ الْقُدْرَةِ وَغَيْرُ السَّمْعِ وَغَيْرُ الْبَصَرِ، لَكِنَّهُ  
«عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، قَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ، سَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ، فَأَثْبَتُوا الْإِسْمَ دُونَ



مَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الصِّفَاتِ».

فهؤلاء المعتزلة أثبتوا الأسماء، لكن انحرفوا بها.

■ فمنهم من جعلها أعلاماً مجردة.

■ ومنهم من قال: أنها ليست أعلاماً، إنما هي أسماء مشتقة مجردة، فالسميع غير العليم، وغير الحكيم، إلا أنه سميع بلا سَمْع، وبصير بلا بَصَر، إلى آخره. يقولون: لأننا إذا أثبتنا تعدد المعاني بتعدد الأسماء لزم من ذلك تعدد القدماء، والقدماء عندهم الآلهة، يعني: يلزم أن تتعدد الآلهة، إذا أثبت الله كل اسم له معنى، وكل معنى فالله متصف به، لزم أن تتعدد الآلهة مثل قدير، كأنه رب واحد، سميع كأنه ثان، بصير كأنه ثالث... وهكذا.

نقول لهم: أنتم كابرتم المعقول؛ لأن تعدد الصفة لا يلزم منه تعدد الموصوف، حتى الإنسان يُقال عنه: هذا الرجل أبيض وطويل وعالمٌ وسميعٌ وبصيرٌ، وهو واحد.

فاجتماع الصفات أو تعدد الصفات لا يلزم منه تعدد الموصوف، فلماذا تمنعون أن يكون الله جلَّ وعلاً مُتَّصِفاً بالصفات لكنه واحد، ولا تمنعون أن يكون الإنسان مُتَّصِفاً بالصفات وهو واحد، والعقل لا ينكر هذا ولا هذا؟!!

ونقول لهم: أنتم قلتم قولاً لا دليل عليه؛ لأن مجرد كون السميع والبصير والقدير مجرد أعلام محضة - أي: الأسماء الحسنى التي تكون علامة محضة - فالعلم المحض الذي يدل على المسمى فقط، ليس فيه حُسْنٌ حتى يتضمَّن صفة ومعنى كاملاً

وَالْكَلَامُ عَلَى فَسَادِ مَقَالَةِ هَؤُلَاءِ وَبَيَانِ تَنَاقُضِهَا بِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ<sup>[١]</sup> الْمُطَابِقِ  
لِصَحِيحِ الْمُنْقُولِ<sup>[٢]</sup> مَذْكُورٍ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ.  
وَهَؤُلَاءِ جَمِيعُهُمْ يَفْرُونَ مِنْ شَيْءٍ فَيَقَعُونَ فِي نَظِيرِهِ وَفِي شَرٍّ مِنْهُ<sup>[٣]</sup>.

يَكُونُ بِهِ حَسَنًا، يَرَى الَّذِي قَالَ مِنْكُمْ: إِنَّهُ عَلِيمٌ بِلا عِلْمٍ، كَيْفَ يُمْكِنُ هَذَا أَنْ يُشْتَقَّ  
اسْمٌ مِنْ مَعْنَى، ثُمَّ يُسَلَّبُ عَنْهُ هَذَا الْمَعْنَى؟

لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ لِلْأَصَمِّ إِنَّهُ سَمِيعٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ لِلْأَعْمَى إِنَّهُ بَصِيرٌ،  
وَلَا لِلْعَاجِزِ أَنَّهُ قَادِرٌ، بَلْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ: قَادِرٌ إِلَّا لِمَنْ اتَّصَفَ بِالْقُدْرَةِ، وَعَالِمٌ  
إِلَّا لِمَنْ اتَّصَفَ بِالْعِلْمِ، إِلَى آخِرِهِ، وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ ضَلَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ  
ذَوُو عَقْلٍ؛ لِأَنَّهُمْ كَابَرُوا الْمَعْقُولَ، وَخَالَفُوا الْمُنْقُولَ، وَخَرَجُوا عَنْ هَدْيِ الرَّسُولِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[١] أَوَّلًا: أَنَّ الطَّرِيقَ الْمَعْقُولَ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ الْخَالِصُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ.

[٢] ثَانِيًا: الْمُنْقُولُ يَعْنِي: النَّقْلَ الثَّابِتَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَوْ فِي كِتَابِ اللَّهِ.

لِأَنَّ انْحِرَافَ الْعُقُولِ إِمَّا مِنْ شُبُهَاتٍ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ، وَإِمَّا مِنْ شَهْوَةٍ بِمَعْنَى  
إِرَادَةِ سَيِّئَةٍ، يَرِيدُ مُخَالَفَةَ الْحَقِّ، لَوْ تَأَمَّلْتَ جَمِيعَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِ الشَّرْعِ لَوَجَدْتَ هَذَا  
أَسَاسَ انْحِرَافِهِمْ، شُبْهَةٌ تَعْرِضُ لَهُمْ إِمَّا نَقْصٌ فِي الْعِلْمِ أَوْ نَقْصٌ فِي التَّصَوُّرِ، وَإِمَّا  
شَهْوَةٌ بِمَعْنَى إِرَادَةِ سَيِّئَةٍ، فَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ هَذِهِ الْأَسْبَابُ الَّتِي يَضِلُّ بِهَا مَنْ ضَلَّ مِنَ  
النَّاسِ.

[٣] الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ كَلَامًا عَامًّا قَالَ: إِنَّهُمْ يَفْرُونَ مِنْ شَيْءٍ فَيَقَعُونَ فِي

نَظِيرِهِ، بَلْ فِي شَرٍّ مِنْهُ أَيْضًا.

## مَعَ مَا يَلْزَمُهُمْ مِنَ التَّخْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ<sup>[١]</sup>.

[١] نَضْرِبُ مَثَلًا: الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّا نَسْلُبُ عَنْ اللَّهِ النِّقِيزِينَ، وَنَقُولُ: لَيْسَ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا، فَرُّوا مِنَ التَّشْبِيهِ وَقَالُوا: إِن قُلْنَا: مَوْجُودٌ شَبَّهْنَاهُ بِالْمَوْجُودَاتِ، وَإِنْ قُلْنَا: مَعْدُومٌ شَبَّهْنَاهُ بِالْمَعْدُومَاتِ.

فَنَقُولُ: وَقَعْتُمْ فِي مِثْلِ مَا فَرَرْتُمْ مِنْهُ، بَلْ شَرٌّ مِنْهُ، أَنْتُمْ لَوْ قُلْتُمْ إِنَّهُ مَوْجُودٌ لَكُنْتُمْ شَبَّهْتُمُوهُ بِالْمَوْجُودَاتِ، لَكِنْ شَبَّهْتُمُوهُ بِشَيْءٍ مُتَمَتِّعٍ غَيْرٍ مَمْكِنٍ. وَيَقُولُونَ: إِنَّا نُوْمِنُ بِوُجُودِهِ، لَكِنَّهُ مَوْجُودٌ لَكِنْ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ، وَلَا تُثَبِّتُ لَهُ صِفَةً ثُبُوتِيَّةً.

فَنَقُولُ لَهُمْ أَيْضًا: أَنْتُمْ إِذَا نَفَيْتُمْ الصِّفَةَ وَقُلْتُمْ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ مُطْلَقٌ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ، أَوْ جَعَلْتُمْ الصِّفَةَ هِيَ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ شَيْئًا لَازِمًا لِلْمَوْصُوفِ، أَوْ جَعَلْتُمْ الصِّفَاتِ مُتَرَادِفَةً وَقَعْتُمْ فِي شَرٍّ مِمَّا فَرَرْتُمْ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْوُجُودَ الْمَطْلُوقَ لَا وَجُودَ لَهُ، فَشَيْءٌ يَكُونُ مَوْجُودًا وَجُودًا مُطْلَقًا عَارِيًّا عَنِ الصِّفَاتِ لَا وَجُودَ لَهُ؛ إِذْ كُلُّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صِفَةٍ، وَمَعْلُومٌ أَيْضًا أَنَّ الصِّفَةَ غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ الْعُقْلَاءِ يَقُولُ: إِنَّ الصِّفَةَ هِيَ عَيْنُ الْمَوْصُوفِ أَبَدًا.

وَكَذَلِكَ نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الصِّفَةَ وَالصِّفَةَ الْآخَرَى بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ، وَهِيَ لَيْسَتْ مُتَرَادِفَاتٍ، فَالْعِلْمُ غَيْرُ الْقُدْرَةِ، وَالْقُدْرَةُ غَيْرُ السَّمْعِ... إِلَى آخِرِهِ، فَأَنْتُمْ فَرَرْتُمْ مِنْ شَرٍّ وَوَقَعْتُمْ فِي شَرٍّ مِنْهُ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُمْ حَرَفُوا النُّصُوصَ؛ فَاللَّهُ يُثَبِّتُ لِنَفْسِهِ هَذَا الشَّيْءَ وَهُمْ يَنْقُوْنَهُ عَنْهُ.

فَإِذَنْ نَقُولُ: كُلُّ هَذِهِ الطَّوَائِفِ الثَّلَاثِ نَخَاطِبُهُمْ جَمِيعًا، فَنَقُولُ: مَا فَرَرْتُمْ مِنْهُ وَقَعْتُمْ فِي شَرٍّ مِنْهُ، وَلِهَذَا فَكَلِمَةُ (بَلْ) فِي قَوْلِهِ: «بَلْ فِي شَرٍّ مِنْهُ» هِيَ لِلْإِبْطَالِ.

وَلَوْ أَمَعُنُوا النَّظَرَ لَسَوَوْا بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَاتِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْمُخْتَلِفَاتِ كَمَا تَقْتَضِيهِ  
الْمَعْقُولَاتُ<sup>[١]</sup>.

وَلَكَاثُوا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ هُوَ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّهِ وَصَدَّقَ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَجْهُولَاتِ الْمَشْبَهَةِ  
بِالْمَعْقُولَاتِ<sup>[٢]</sup>.

وزدتم على ذلك أيضا تحريف النصوص والتعطيل، أما أهل السنة والجماعة  
- والله الحمد - فلم يقعوا في هذه الشُّرور، فلا عطَّلُوا ولا حَرَّفُوا، ولا وَقَعُوا في شَرٍّ  
مما فَرَّوْا منه، بل لم يَقْرُوا، وقالوا: ما أثبت الله من صفة أثبتناه.

[١] يعني: لو أن الإنسان أَمَعَنَ النظرَ في كلِّ شيءٍ - وليس فقط في أسماء الله  
وصفاته - ونظر بدقة لوجد أن المتماثلات متساوية، ووجدوا أيضا أن المختلفات  
مُتَفَرِّقَةٌ.

مثال ذلك بالنسبة للصفات: معلوم أن الخالق غير المخلوق، فإذا أثبت الخالق  
لنفسه صفة من الصفات يجب أن تكون هذه الصفة غير الصفة التي تكون في المخلوق،  
وليس في ذلك من محذور، فمع أنك إذا أثبت لله تعالى ذاتا ليست كذات المخلوق  
فأنت على حق، وكذلك أيضا في الصفات.

[٢] هنا المجهُولَاتُ ضدَّ المعلوماتِ المشبَّهَةِ بالمعقولات؛ لأنهم يزعمون أن  
العقل ما كانوا عليه، فهؤلاء يحكمون على أي شيءٍ بالعقل والنظر دون الأثر والنقل،  
فلو أنهم رجَّعوا إلى الكتاب والسنة لكاثوا من أهل العلم، لكنهم حكَّمُوا عقولهم  
فصاروا من أهل الجهل.



يُسَفِّسُطُونَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ<sup>[١]</sup>، وَيُقَرِّمُطُونَ فِي السَّمْعِيَّاتِ<sup>[٢]</sup>.  
وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَوْجُودٍ قَدِيمٍ<sup>[٣]</sup>.....

[١] السَّفْسَاطَةُ! عبارة عن إنكار المحسوس؛ بمعنى: أن الإنسان يَشْكُ في كل شيء، تقول له مثلاً: هذا كتاب من ورق، فيقول: لا أذري من ورق أو لا، نقول: هذه سفسطة، نقول له: هذه هي الشمس فيقول: يمكن أن تكون هذه القمر، يمكن أن يطلع البدر الليلة، وهذا القمر، أحياناً يقولون عن بعضهم إنه يُنْكِر نفسه فينام، فإذا أصبح قال: لعلِّي فلان، حتى إنه لا ينام بعضهم إلا وقد ربط نفسه بخيط ليكون علامة أنه هو الذي نام، فهو يخشى أن يكون فلاناً الثاني، وبعضهم يُسلم على بعض ويقول: لعلِّي سلَّمْتُ على نفسي؛ لأنَّه لا يوجد أحد؛ لأنِّي أنا هو ذاك، والحاصل أن هذه سفسطة في العقليات.

[٢] القَرَمَطَةُ فِي السَّمْعِيَّاتِ: فَسَبَقَ أَنْ قُلْنَا إِنْ الْقَرَامِطَةُ هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ حَمْدَانَ ابْنَ قَرَمَطٍ، وَهَؤُلَاءِ أَنْكَرُوا دَلَالََةَ النُّصُوصِ، وَقَالُوا: إِنْ لِلنُّصُوصِ ظَوَاهِرٌ وَبَوَاطِنٌ، وَأَنْ ظَوَاهِرَ النُّصُوصِ هَذِهِ لِلْعَامَّةِ، وَأَمَّا بَوَاطِنُ النُّصُوصِ فَهِيَ لِلْخَاصَّةِ، نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ.

[٣] مِمَّا هُوَ بَدِيهِيٌّ عَلَى الْعَقْلِ أَنْ هَؤُلَاءِ الثُّفَاةِ بِمَرَاتِبِهِمُ الثَّلَاثِ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ بِمَا ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَوْجُودٍ قَدِيمٍ غَنِيٍّ عَمَّا سِوَاهُ».

وَقَوْلُ الْمُؤَلَّفِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا بُدَّ مِنْ مَوْجُودٍ قَدِيمٍ» قَوْلٌ صَحِيحٌ، «الْمَوْجُودُ» يَعْنِي: يَخْبِرُ بِهِ عَنِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُسَمَّى بِهِ لَا يُقَالُ: يَا مَوْجُودُ، يَا مَعْبُودُ،



غَنِيٍّ عَمَّا سِوَاهُ<sup>[١]</sup>، إِذْ نَحْنُ نُشَاهِدُ حُدُوثَ الْمُحَدَّثَاتِ كَالْحَيَوَانِ وَالْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ،  
وَالْحَادِثُ مُمَكِّنٌ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مُمْتَنِعٌ<sup>[٢]</sup>، وَقَدْ عَلِمَ بِالِاضْطِرَارِّ أَنَّ الْمُحَدَّثَ  
لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحَدِّثٍ<sup>[٣]</sup>، .....

كما يقول بعض الناس، فإن: يا موجود. ليس فيها صفة كاملة محمودة، ولكن يُخبر بها  
عن الله، فيقال: الله موجودٌ، قديمٌ، غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ، هذا هو الغَنِيُّ كما قال الله: ﴿هُوَ  
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، موجود.

[١] «غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ» فنحن نشاهد المخلوقات المُحَدَّثَاتِ كالحَيَوَانِ والمعادِنِ  
والنباتِ والماءِ، والحادثُ الممكِنُ ليس بواجِبٍ ولا مُمْتَنِعٍ.

[٢] قوله: «إِذْ نَحْنُ نُشَاهِدُ حُدُوثَ الْمُحَدَّثَاتِ كَالْحَيَوَانِ وَالْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ،  
وَالْحَادِثُ مُمَكِّنٌ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مُمْتَنِعٌ»، هذا صحيحٌ، سواءً حيوانٌ أو نباتٌ أو معادنٌ  
أو أشجارٌ أو غيرها، نشاهدُ حدوثَ هذه المُحَدَّثَاتِ كما نشاهدُ أيضًا تغيُّرَ هذه  
الصفَّات فضلًا عن وجودها، نحنُ نشاهدُ مثلًا أن الشمسَ تَقْتَرِبُ مِنَّا أحيانًا وتبتعدُ،  
وكذلك القمرُ والنجومُ وغيرهم، هذه الأشياءُ وجودُها بعد أن كانت مَعْدُومَةً يدلُّ  
على أنها ليست واجبة الوجود؛ لأنَّها لو كانت واجبة الوجود لم تكن مَعْدُومَةً من قبل؛  
لأنَّ الواجبَ عند الفلاسفة أو المتكلمين ما لا يمكنُ حدوثه بعد عدم، وهذه الحوادثُ  
تدلُّ على أنها ليست واجبة الوجود؛ لأنَّ واجب الوجود لا يمكنُ أن يكون مَعْدُومًا،  
وحدوثها أيضًا يدلُّ على أنها ليست من المستحيل؛ لأنَّها لو كانت مُستَحِيلَةً ما  
وُجِدَتْ، إِذَنْ فَهِيَ من الممكنِ الجائزِ الوجود.

[٣] أي قد عَلِمَ عِلْمًا ضروريًا أن الحادثَ لا بُدَّ له من مُحَدِّثٍ، كما قال الأعرابي:  
الأثرُ يدلُّ على المسيرِ، والبصرةُ تدلُّ على البعيرِ، كلُّ حادثٍ لا بُدَّ له من مُحَدِّثٍ.

وَالْمُمْكِنَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوجِدٍ<sup>[١]</sup>، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ  
الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]<sup>[٢]</sup>.

فعندما أقول مثلاً: هذا البناءُ حادثٌ قام على الأساسِ الأوَّلِ تُرابٌ ثم صارَ بناءً،  
نحن نعلِّمُ بالضرورة أنه لا بُدَّ له من مُحدث؛ لا بُدَّ من إنسانٍ بناه أو من باني بناءه.  
إِذَنْ كُلُّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ.

[١] المُمْكِنُ: الَّذِي لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مُسْتَحِيلٍ، لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوجِدٍ.

[٢] كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]،  
(أم) هنا مَنْقُطَةٌ بِمَعْنَى (بل)، وَهَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيَّةُ يَعْنِي: بَلْ أَخْلِقُوا مِنْ غَيْرِ  
شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ؟

وَيَكُونُ الْجَوَابُ: لَيْسُوا هُمُ الْخَالِقِينَ، الْإِنْسَانُ لَمْ يَخْلُقْ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ  
مَعْدُومٌ، وَالْمَعْدُومُ لَا يَخْلُقُ، وَلَيْسَ مَخْلُوقًا بِدُونِ خَالِقٍ، مَنْ خَلَقَ أَبَاهُ وَوَضَعَهُ فِي رَحِمِ  
أُمِّهِ؟ هَلْ أُمُّهُ صَنَعَتْهُ بِرَحِمِهَا؟ هَلِ الطَّبِيبُ صَنَعَهُ فِي رَحِمِ أُمِّهِ؟ الْجَوَابُ: لَا، إِذَنْ لَا بُدَّ  
لَهُ مِنْ خَالِقٍ، وَهَلْ خَلَقَهُ الْبَشَرُ الْمَخْلُوقُ؟!

إِذَنْ فَيَكُونُ الَّذِي خَلَقَهُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ  
أَسِيرًا مِنْ أُسْرَى بَذَرَ فِي الْمَدِينَةِ - سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ  
تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿  
[الطور: ٣٥-٣٦]، قَالَ: «كَادَ قَلْبِي يَطِيرُ، وَوَقَعَ - أَوْ وَقَرَ - الْإِيْيَانُ فِي قَلْبِي»<sup>(١)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ  
الْفُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، رَقْمٌ (٤٨٥٤).

فَإِذَا لَمْ يَكُونُوا خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ وَلَا هُمْ الْخَالِقُونَ لِأَنْفُسِهِمْ تَعَيَّنَ أَنَّ لَهُمْ خَالِقًا خَلَقَهُمْ<sup>[١]</sup>.

وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ فِي الْوُجُودِ مَا هُوَ قَدِيمٌ وَاجِبٌ بِنَفْسِهِ، وَمَا هُوَ مُحْدَثٌ مُمَكِّنٌ يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ فَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا مَوْجُودٌ، وَهَذَا مَوْجُودٌ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ اتِّفَاقِهِمَا فِي مُسَمَّى الْوُجُودِ أَنْ يَكُونَ وَجُودُ هَذَا مِثْلَ وَجُودِ هَذَا، بَلْ وَجُودُ هَذَا يَخُصُّهُ وَوُجُودُ هَذَا يَخُصُّهُ.

وَاتِّفَاقُهُمَا فِي اسْمٍ عَامٍّ لَا يَقْتَضِي تَمَثُّلَهُمَا فِي مُسَمَّى ذَلِكَ الْإِسْمِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِصِ وَالتَّقْيِيدِ وَلَا فِي غَيْرِهِ<sup>[٢]</sup>.

[١] لِنَدَهَبَ وَلِنُقَشِّ فَلْنَجِدَ أَحَدًا خَلَقَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ، بَلْ وَلَا مِنْ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، إِذَنْ يَكُونُ الْخَالِقُ هُوَ اللَّهُ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾، فَإِذَا لَمْ يَكُونُوا خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ وَلَا هُمْ الْخَالِقُونَ لِأَنْفُسِهِمْ تَعَيَّنَ أَنَّ لَهُمْ خَالِقًا خَلَقَهُمْ، هَذَا الْخَالِقُ هُوَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ.

أَرَادَ الْمُؤَلِّفُ إِثْبَاتَ وَجُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِدَلَالَةِ الْحَوَادِثِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْحَوَادِثَ الَّتِي تَحْدُثُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُحْدِثٍ، هَذَا الْمَحْدِثُ هُوَ اللَّهُ، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ فِي الْوُجُودِ مَا هُوَ قَدِيمٌ وَاجِدٌ لِنَفْسِهِ، وَمَا هُوَ مُحْدَثٌ مُمَكِّنٌ يَقْبَلُ الْوُجُودَ بِالْعَدَمِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ فِي الْوُجُودِ مَا هُوَ وَاجِبٌ الْوُجُودِ وَمَا هُوَ مُمَكِّنُ الْوُجُودِ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَاتِّفَاقُهُمَا فِي اسْمٍ عَامٍّ لَا يَقْتَضِي تَمَثُّلَهُمَا فِي مُسَمَّى ذَلِكَ الْإِسْمِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِصِ وَالتَّقْيِيدِ» وَهُوَ الْإِسْمُ الْعَامُّ الَّذِي يَقَعُ الْوُجُودُ فِيهِ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَتَنَاسَبَا فِي ذَلِكَ الْإِسْمِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّقْيِيدِ.



فَلَا يَقُولُ عَاقِلٌ إِذَا قِيلَ: إِنَّ الْعَرْشَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ<sup>[١]</sup>، وَأَنَّ الْبُعُوضَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ: إِنَّ هَذَا مِثْلَ هَذَا؛ لِاتِّفَاقِهِمَا فِي مُسَمًّى الشَّيْءِ وَالْوُجُودِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْخَارِجِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ غَيْرُهُمَا يَشْتَرِكُ فِيهِ<sup>[٢]</sup>، .....

فمثلاً: كلمة (وجود) لفظٌ مطلقٌ، لكن عند الإضافة والتقييد نقول: وجود الخالق، وحكمه يخصه، ووجود المخلوق جائزٌ ليس بواجبٍ، فتبين أن بمجرد اتفاق الاسم بين الشئين لا يلزم منه اشتراكهما فيما يختص به كل واحدٍ، يتفقان في مسمى الوجود لكن يختلفان؛ هذا وجوده يخصه وهذا وجوده يخصه، فإذا كان كذلك فما المانع من أن نثبت لله صفات ثبوتية، ونقول إنها تختص به ولا تشبه صفات المخلوقين؟ ليس هناك مانعٌ، كما أننا اتفقنا جميعاً على أن الكلام مع الذين يُثبتون لله الوجود على أن الوجود صفةٌ وهي عند الإطلاق يشترك فيها الخالق والمخلوق، لكن عند الإضافة والتقييد يكون وجود الخالق يخصه ووجود المخلوق يخصه.

[١] يعني: لا يوجد أحدٌ عاقلٌ يقول: إن العرش موجودٌ.

وهل وجود العرش من باب الوجود الواجب، أو من باب الوجود الممكن؟ كل مخلوق وجوده من باب الوجود الممكن؛ معنى (مخلوق) أنه وجد بعد أن لم يكن وجد، لو كان واجباً للوجوب ما كان معلوماً من قبل، إذن فالعرش جائز الوجود.

[٢] أي أن العرش جائز الوجود، والبعض جازئ الوجود، وكل منهما شيءٌ موجودٌ، فإذا كان هذان الموجودان متفقين في الوجود، وأن وجودهما من باب الجائز وليس من باب الواجب، ومع ذلك هل يلزم من اتفاقهما في الوجود أن يكونا متفقين في الحقيقة في الذات وكل شيء؟

بَلِ الذَّهْنُ يَأْخُذُ مَعْنَى مُشْتَرَكًا كُلِّيًّا هُوَ مُسَمَّى الْإِسْمِ الْمُطْلَقِ<sup>[١]</sup>.

الجواب: لا، أبدًا لا يمكن لعاقِل أن يقول: إن البعوضة مثل العرش، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والعرش أكبر بكثير من الكرسي؛ لأنَّ فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الأرض<sup>(١)</sup>، هل يمكن أن يقول قائل: إن هذه البعوضة التي هي من أحقر المخلوقات تكون مثل العرش الذي هو أعظم الموجودات؟  
الجواب: لا.

والضمير في «غيرهما» يعود على الشئ والموجود، يعني: أن العرش والبعوضة ليس بالخارج شئ يشتركان فيه سوى كلمة شئ وموجود، البعوضة شئ والعرش شئ، والبعوضة موجودة والعرش موجود، هما اتفقا في هذين الوصفين، لكن في الخارج لا يتفقان فيما عدا كلمة شئ وموجود، ليس بين العرش وبين البعوض اشتراك.

وبناءً على ذلك العرش لا يمكن إدراكه؛ «لأنَّه لَيْسَ فِي الْخَارِجِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ» كلمة (في الخارج) يعني: خارج الوجود، الوجود العياني الذي يشاهد ويسمع مثلاً؛ فهناك شئ ذهني وشئ خارجي؛ فالشئ الذهني يفرضه الذهن، والشئ الخارجي ليس موجوداً فعلاً.

[١] ويقول المؤلف رحمه الله: «بَلِ الذَّهْنُ يَأْخُذُ مَعْنَى مُشْتَرَكًا كُلِّيًّا هُوَ مُسَمَّى الْإِسْمِ الْمُطْلَقِ»، والمشارك الكلي: الذاتان اللتان اشتركا ذهناً في شئ واحد هو (شئ)، ووجود.

(١) أخرجه ابن حبان (٧٧/٢)، رقم (٣٦١).

وَإِذَا قِيلَ هَذَا مَوْجُودٌ وَهَذَا مَوْجُودٌ فَوْجُودُ كُلِّ مِنْهُمَا يُخَصُّهُ لَا يَشْرُكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ؛ مَعَ أَنَّ الْإِسْمَ حَقِيقَةٌ فِي كُلِّ مِنْهُمَا<sup>[١]</sup>.

وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَسَمَّى صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ مُحْتَصَّةٌ بِهِ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ لَا يَشْرُكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ وَسَمَّى بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ مُحْتَصَّةٍ بِهِمْ مُضَافَةً إِلَيْهِمْ تُوَافِقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ إِذَا قُطِعَتْ عَنِ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيسِ<sup>[٢]</sup>.

وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ اتِّفَاقِ الْأَسْمَيْنِ وَتَمَاطُلِ مُسَمَّاهُمَا<sup>[٣]</sup>.....

[١] أي أن وجود هذا غير وجود هذا، فوجود هذا يخصه، ووجود هذا يخصه.

[٢] يقول المؤلف رحمه الله: إن الله سَمَّى نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَسَمَّى صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ، وَكَانَتْ تِلْكَ «الْأَسْمَاءُ مُحْتَصَّةٌ بِهِ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ لَا يَشْرُكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ وَسَمَّى بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ مُحْتَصَّةٍ بِهِمْ»، وَلَا يَلْزَمْ مِنْ اتِّفَاقِ الْأِسْمِ أَنْ يَتَّفَقَ الْمُسَمَّى، فَإِذَا كَانَ لَا يَلْزَمْ، فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمْ مِنْ إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَكُونَ مُشَابِهًا لِلْمَخْلُوقَاتِ، هَذَا هُوَ تَقْرِيرُ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ لِيُلْزَمَ بِهِ كُلُّ هَذِهِ الطَّوَائِفِ الثَّلَاثِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الطَّوَائِفِ الثَّلَاثِ أَقْلٌ مَن فِيهِنَّ الَّذِينَ أَثْبَتُوا الْأَسْمَاءَ دُونَ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الصِّفَاتِ؛ فِرَارًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي التَّمثِيلِ، وَهَذَا الْفِرَارُ الَّذِي فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَوْقَعَكُمْ فِي أَشْرٍّ مِمَّا فَرَرْتُمْ مِنْهُ مَعَ تَعْطِيلِ النُّصُوصِ وَتَحْرِيفِهَا، ثُمَّ إِنَّ مَا ذَكَرْتُمْ أَنَّهُ لَا يَلْزَمْ لَيْسَ بِلَازِمٍ.

[٣] قوله: «وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ اتِّفَاقِ الْأَسْمَيْنِ وَتَمَاطُلِ مُسَمَّاهُمَا» بِالْإِثْبَاتِ وَالتَّخْصِيسِ لَمْ يَلْزَمْ اتِّفَاقُهُمَا وَلَا تَمَاطُلُ الْمُسَمَّى عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيسِ، فَضْلًا أَنْ يَتَّحِدَ مُسَمَّاهُمَا عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيسِ.



وَاتِّحَادِهِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ وَالتَّجْرِيدِ عَنِ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِصِ اتَّفَاقُهُمَا وَلَا تَمَازُلُ  
الْمُسَمَّى عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِصِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَّحِدَ مُسَمَّاهُمَا عِنْدَ الْإِضَافَةِ  
وَالْتَّخْصِصِ.

فَقَدْ سَمَّى اللَّهُ نَفْسَهُ حَيًّا فَقَالَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،  
وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ حَيًّا فَقَالَ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾  
[يونس: ٣١]<sup>[١]</sup>، وَلَيْسَ هَذَا الْحَيُّ مِثْلَ هَذَا الْحَيِّ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿الْحَيَوَةُ﴾ اسْمٌ لِلَّهِ  
مُخْتَصٌّ بِهِ وَقَوْلَهُ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ اسْمٌ لِلْحَيِّ الْمَخْلُوقِ مُخْتَصٌّ بِهِ، وَإِنَّمَا  
يَتَّفَقَانِ إِذَا أُطْلِقَا وَجُرِّدَا عَنِ التَّخْصِصِ<sup>[٢]</sup>، .....

[١] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أَمْثَلَهُ، فَسَمَّى اللَّهُ نَفْسَهُ حَيًّا فَقَالَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وَقَالَ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وَسَمَّى أَيْضًا  
الْعِبَادَ حَيًّا، فَقَالَ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، فَهَلِ الْحَيُّ الَّذِي  
يُخْرِجُهُ اللَّهُ هُوَ مِثْلُ اللَّهِ؟

الجواب: لا، إِذَنْ فَلَا يَلْزَمُ مِنْ اتَّفَاقِهِمَا فِي الْاسْمِ أَنْ يَتَّفَقَا فِي الْحَقِيقَةِ، فَحَيَاةُ الْخَالِقِ  
تَخْتَصُّ بِهِ وَحَيَاةُ الْمَخْلُوقِ تَخْتَصُّ بِهِ، حَتَّى الْإِنْسَانُ وَإِنْ اتَّفَقَ النَّاسُ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ،  
فَإِنْسَانِيَّةُ كُلِّ شَخْصٍ تَخْتَصُّ بِهِ، وَتَخْتَلِفُ عَنِ الْآخَرِ، بَعْضُ النَّاسِ يَكُونُ إِنْسَانًا وَيَسْتَعْمِلُ  
إِنْسَانِيَّتَهُ فِيمَا يَلِيقُ بِهِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَكُونُ إِنْسَانًا، وَلَكِنَّهُ كَالْحَيَوَانِ.

[٢] قوله: «وَإِنَّمَا يَتَّفَقَانِ إِذَا أُطْلِقَا وَجُرِّدَا عَنِ التَّخْصِصِ» وَمَعْنَى يَتَّفَقَانِ: يَعْنِي:  
كَلِمَةُ أَنْتَ حَيٌّ، أَنْتَ حَيٌّ، لَوْ قُلْتَ مِثْلَ مَرَّةٍ إِنَّمَا تَتَّفَقُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَعْنَاهُمَا  
وَاحِدًا إِذَا جُرِّدَا عَنِ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِصِ، وَمَعْنَى (جُرِّدَا عَنِ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِصِ)

وَلَكِنْ لَيْسَ لِلْمُطْلَقِ مُسَمًّى مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ<sup>[١]</sup>.

وَلَكِنَّ الْعَقْلَ يَفْهَمُ مِنَ الْمُطْلَقِ قَدْرًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْمُسَمَّيْنِ وَعِنْدَ الْإِخْتِصَاصِ يُقَيَّدُ ذَلِكَ بِمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْخَالِقُ عَنِ الْمَخْلُوقِ وَالْمَخْلُوقُ عَنِ الْخَالِقِ، وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا فِي جَمِيعِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ يُفْهَمُ مِنْهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْإِسْمُ بِالْمُوَاطَأةِ وَالِاتِّفَاقِ وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ بِالْإِضَافَةِ.....

لا أضيف (الحَيُّ) إلى الله ولا إلى الإنسان حينئذٍ تَتَّفِقُ؛ لكن عند الإضافة والتخصيص يختلف بحسب ما يضاف إليه.

[١] قوله: «وَلَكِنْ لَيْسَ لِلْمُطْلَقِ مُسَمًّى مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ» المطلق يعني: الذي لم يُصَفْ، فهو مجرد من الإضافة والتخصيص.

عندما تقول: الحَيُّ، لا ينصرف ذهننا إلى شيء مُعَيَّن، فهذا مطلق، يعني: عندما تقول: (الحَيُّ أو الكبير أو القدير) وأنت لا تقصد به شيئاً مُعَيَّناً فمعنى ذلك أن ليس له وجود في الخارج، وإنما تفرض حياً ليس له وجود، فلا يمكن أن يوجد اسم مطلق غير مُقَيَّد بأحدٍ إلّا في الذهن فقط، فإذا وجد في الخارج فإنه لا بُدَّ أن يتميّز فيكون بحسب الإضافة والتخصيص، بحسب ما يضاف إليه، وبحسب ما يختص به.

هذه - في الحقيقة - بحوثٌ كلها منطقيّة، لكنّها واضحةٌ وليست صعبةً، وكما قال شيخ الإسلام عن المنطق: «إنه لا ينتفع به البليد، ولا يحتاج إليه الذكي»<sup>(١)</sup>. ففيه نوعٌ من التعقيدات ليس فيه شيءٌ جديدٌ، غايةً ما هنالك أنه اصطلاحاتٌ فقط.

وَالْإِخْتِصَاصِ الْمَانِعَةَ مِنْ مُشَارَكَةِ الْمَخْلُوقِ لِلْخَالِقِ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى<sup>[١]</sup>.

[١] يعني: كذلك الصفات - كالعلم مثلاً - العلم موجود في الإنسان وموجود في الله عز وجل، القدر المشترك من العلم يتفق فيه هذا وهذا، وهو المعنى الكلي المطلق، لكن هذا المعنى الكلي المطلق ليس له وجود في الخارج، إنما وجوده في الذهن، والحقيقة أن الخارجي لا بد أن يتميز كل علم عن الآخر، نقول: الله تعالى عليهما، الإنسان عنده علم ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وهل علم الله مثل علم المخلوق؟

لا، ليس مثله أبداً، ولا يمكن أن يدانيه، بل إن علوم المخلوقين أيضاً تختلف اختلافاً ظاهراً، فإذا كان كذلك فإنه لا يلزم من اتفاق المخلوق مع الخالق في الاسم أن يتفقا في الحقيقة.

والغرض من هذا الكلام تفصيل إبطال قول الذين قالوا: إن إثبات الصفة لله عز وجل يلزم منه - على رأيهم - التشبيه والمماثلة، فالمؤلف يريد أن يقرر أن هذا الأمر خطير جداً؛ عندما تعتقد أن لك رباً لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم، أين الرب إذن؟ ولهذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَتَّبِعْتَنِي أَتَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ [مريم: ٤٢].

أولئك الفلاسفة والطوائف الثلاثة التي ذكرها المؤلف يقولون: إنهم يعبدون من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئاً، وهذا معلوم أنه كفر.

فالحاصل هو أننا فهمنا أموراً ثلاثة:

أولاً: أن كل حادث لا بد له من محدث، وكل ممكن لا بد له من واجد، والدليل



وَكَذَلِكَ سَمَّى اللَّهُ نَفْسَهُ عَلِيًّا حَلِيمًا، وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ عَلِيًّا فَقَالَ: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، يَعْنِي: إِسْحَاقَ، وَسَمَّى آخَرَ حَلِيمًا فَقَالَ: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠١]، يَعْنِي: إِسْمَاعِيلَ، وَلَيْسَ الْعَلِيمُ كَالْعَلِيمِ، وَلَا الْحَلِيمُ كَالْحَلِيمِ.

وَسَمَّى نَفْسَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ سَمِيعًا بَصِيرًا فَقَالَ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وَلَيْسَ السَّمِيعُ كَالسَّمِيعِ، وَلَا الْبَصِيرُ كَالْبَصِيرِ<sup>[١]</sup>.

على ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، فإن هذا استدلالٌ بالحوادث على وجود الخالق.

ثانيًا: أن اشتراك الشئيين في معنى من المعاني إنما يتفقان في المعنى المطلق المجرد عن الإضافة والاختصاصات، عندما تقول: العرش شيءٌ موجود، والبعوض شيءٌ موجود، اشتراكا في هذا المعنى المطلق، لكن عند الإضافة والتخصيص يختلفان؛ فوجود العرش ليس كوجود البعوض.

ثالثًا: أن الله تبارك وتعالى سَمَّى نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ، وَصِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ، وَلِلْمَخْلُوقِينَ نَظِيرٌ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ اتِّفَاقِهِمَا بِالْمَعْنَى الْكُلِّيِّ الْعَامِّ أَنْ يَتَّفَقَا فِي هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِصِ.

[١] هذا واضح، وهو أن الاتفاق في الاسم أو في الصفة لا يلزم منه التساوي فيما يختص فيه كل واحد.

وَسَمَّى نَفْسَهُ بِالرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ بِالرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وَلَيْسَ الرَّؤُوفُ كَالرَّؤُوفِ، وَلَا الرَّحِيمُ كَالرَّحِيمِ.

وَسَمَّى نَفْسَهُ بِالْمَلِكِ، فَقَالَ: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الجمعة: ١]، وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ بِالْمَلِكِ فَقَالَ: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ﴾ [يوسف: ٥٠]، وَلَيْسَ الْمَلِكُ كَالْمَلِكِ.

وَسَمَّى نَفْسَهُ بِالْمُؤْمِنِ الْمُهِيمِ، وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ بِالْمُؤْمِنِ فَقَالَ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨]، وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُ كَالْمُؤْمِنِ.

وَسَمَّى نَفْسَهُ بِالْعَزِيزِ فَقَالَ: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ بِالْعَزِيزِ فَقَالَ: ﴿قَالَتِ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وَلَيْسَ الْعَزِيزُ كَالْعَزِيزِ.

وَسَمَّى نَفْسَهُ الْجَبَّارَ الْمُتَكَبِّرَ، وَسَمَّى بَعْضَ خَلْقِهِ بِالْجَبَّارِ الْمُتَكَبِّرِ قَالَ: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وَلَيْسَ الْجَبَّارُ كَالْجَبَّارِ، وَلَا الْمُتَكَبِّرُ كَالْمُتَكَبِّرِ، وَنَظَائِرُ هَذَا مُتَعَدِّدَةٌ<sup>١</sup>.

[١] وبهذا تبين أن أصل ضلال الذين حادوا عن طريق المرسلين، وأنكروا أن يكون الله مُتَّصِفًا إمَّا بالثبوت مُطلقًا، أو بالثبوت والعدم أنهم ظنوا أن تماثلهما - أي: تماثل الخالق مع المخلوق - في الاسم يدل على تماثلهما في الحقيقة والصفة، وما يختص به كل واحد، وهذا الظن خطأ.



وَكَذَلِكَ سَمَّى صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ، وَسَمَّى صِفَاتِ عِبَادِهِ بِنَظِيرِ ذَلِكَ فَقَالَ:  
 ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]،  
 وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ  
 الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وَسَمَّى صِفَةَ الْمَخْلُوقِ عِلْمًا وَقُوَّةً،  
 فَقَالَ: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وَقَالَ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي  
 عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وَقَالَ: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]، وَقَالَ:  
 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ  
 ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، وَقَالَ:  
 ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، أَي: بِقُوَّةٍ<sup>[١]</sup>.

وذكرنا أن بعض المخلوقات تَتَمَيَّزُ عن البعض الآخر، فليس عِلْمُ الْإِنْسَانِ  
 الكَادِحِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَعِلْمِ الْإِنْسَانِ الْمُعْرِضِ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَيْسَ عِلْمُ الْبَالِغِ كَعِلْمِ  
 الطِّفْلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

[١] إِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالسَّمَاءَ  
 بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بِالْقُوَّةِ هَلْ هُوَ مُحَرِّفٌ أَمْ لَيْسَ بِمُحَرِّفٍ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ:  
 ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ أَي: بِقُوَّةٍ، وَإِنْكَارِنَا عَلَى مَنْ يَقُولُ: ﴿وَمَا عَمِلْتَ أَيْدِينَا﴾ بِقُوَّةٍ؟

الْجَوَابُ: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا هُوَ أَنَّ اللَّهَ هُنَا قَالَ ﴿بِأَيْدٍ﴾ وَلَمْ يَقُلْ بِأَيْدِينَا، لَوْ أَضَافَ  
 إِلَى نَفْسِهِ صَارَتْ مِنْ صِفَاتِهِ، وَلِذَلِكَ الْيَدُ الَّتِي أَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ نَقُولُ: إِنَّهَا مِنْ  
 صِفَاتِهِ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُفَسَّرَ هَا بِالْقُوَّةِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ لَا يُمْكِنُ أَنْ  
 يُقَالَ: قُوَّةُ اللَّهِ فَوْقَ قُوَّتِهِمْ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ لَا يُمْكِنُ



وَقَالَ: ﴿وَأَذْكُر عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧]؛ أَي: ذَا الْقُوَّةِ وَلَيْسَ الْعِلْمُ كَالْعِلْمِ وَلَا الْقُوَّةُ كَالْقُوَّةِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَشِئَةِ وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْمَشِئَةِ فَقَالَ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

وَكَذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْإِرَادَةِ وَعَبْدَهُ بِالْإِرَادَةِ فَقَالَ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَحَبَّةِ، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْمَحَبَّةِ فَقَالَ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالرِّضَا، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالرِّضَا فَقَالَ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَشِئَةَ اللَّهِ لَيْسَتْ مِثْلَ مَشِئَةِ الْعَبْدِ، وَلَا إِرَادَتُهُ مِثْلَ إِرَادَتِهِ وَلَا مَحَبَّتُهُ مِثْلَ مَحَبَّتِهِ، وَلَا رِضَاهُ مِثْلَ رِضَاهُ.

أَنْ يُقَالَ: مَا عَمِلْتَ قَوَانًا، أَمَّا هُنَا فَإِنَّمَا لَمْ تُضَفْ إِلَى اللَّهِ، بَلْ قَالَ: ﴿بِأَيْدٍ﴾ وَأَيْدٍ هَذِهِ مُصْدَرٌ (أَدَّ يَيْدُ أَيْدًا) مِثْلَ (بَاعَ يَبِيعُ بَيْعًا)، وَالْأَيْدِي فِي اللُّغَةِ الْقُوَّةُ، فَلَيْسَ هُنَاكَ تَحْرِيفٌ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الطَّلَبَةِ إِذَا سَمِعَ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ يَقُولُ: هَذَا مُحَرَّفٌ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَبْحَثُ الْإِنْسَانُ أَوْ يَنَاقِشُ يَتَبَيَّنُ الْأَمْرُ.

وَكَذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَمُوتُ الْكُفَّارَ، وَوَصَفَهُمْ بِالْمَقْتِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]، وَلَيْسَ الْمَقْتُ مِثْلَ الْمَقْتِ<sup>[١]</sup>.

وَهَكَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَكْرِ وَالْكَيدِ كَمَا وَصَفَ عَبْدَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وَلَيْسَ الْمَكْرُ كَالْمَكْرِ، وَلَا الْكَيْدُ كَالْكَيدِ<sup>[٢]</sup>.

[١] قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ هنا يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ اللَّهَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَقْتِ، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْمَقْتِ، هَذَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنَّ اللَّهَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَقْتِ إِلَّا إِذَا قُلْنَا إِنَّهُ يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ، يَعْنِي: لَمَقْتُ اللَّهُ إِيَّاكُمْ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ، وَالْمَقْتُ أَشَدُّ الْبُغْضِ.

[٢] إِذَا سَأَلَ سَائِلٌ: هَلِ الْمَكْرُ صِفَةُ نَقْصٍ وَذَمٍّ أَمْ صِفَةُ كَمَالٍ وَمَدْحٍ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ صِفَةُ مَدْحٍ وَقَدْ يَكُونُ صِفَةُ ذَمٍّ، فَإِنْ قِيلَ فِي مُقَابَلَةِ الْغَيْرِ - لِأَنَّهُ أَعْظَمُ - فَهُوَ صِفَةُ مَدْحٍ، وَإِنْ قِيلَ مُطْلَقًا فَهُوَ صِفَةُ ذَمٍّ، وَلِهَذَا لَا يُوصَفُ اللَّهُ بِهِ مُطْلَقًا أَبَدًا، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: «إِنَّ اللَّهَ مَكِرٌّ»، هَذَا حَرَامٌ، أَوْ إِنَّ اللَّهَ كَائِدٌ؛ لِأَنَّ هَذَا يَقْتَضِي النَّقْصَ، وَلَكِنْ نَقُولُ: مَكِرٌّ بِأَعْدَائِهِ، مَكِرٌّ بِمَا يَمْكُرُ بِهِ أَوْ بِأَعْدَائِهِ؛ فَكَوْنُ اللَّهِ يَمْكُرُ بِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ هُمْ يَمْكُرُونَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْوَى مِنْهُمْ وَأَعْلَمُ مِنْهُمْ.

وَالْإِنْسَانُ فِي الْحَقِيقَةِ إِذَا كَانَ لَهُ عَدُوٌّ وَأَرَادَ عَدُوَّهُ أَنْ يَمْكُرَ بِهِ ثُمَّ مَكَّرَ مَكْرًا

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ فَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْعَمَلِ فَقَالَ: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وَلَيْسَ الْعَمَلُ كَالْعَمَلِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالنَّادَاةِ وَالْمُنَاجَاةِ، فَقَالَ: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَيْنَهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]<sup>(١)</sup>، وَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ وَقَالَ: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَهْمًا﴾ [الأعراف: ٢٢]، وَوَصَفَ عِبَادَهُ بِالنَّادَاةِ وَالْمُنَاجَاةِ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، وَقَالَ: ﴿نَنْجِيكُمْ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا﴾ [المجادلة: ١٢]، وَقَالَ: ﴿تَنْجِيَّتُمْ فَلَا تَنْتَجَوْنَ بِالْإِيمِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ﴾ [المجادلة: ٩]، وَلَيْسَ الْمُنَادَاةُ وَلَا الْمُنَاجَاةُ كَالْمُنَاجَاةِ وَالْمُنَادَاةِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّكْلِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]،

أَقْوَى مِنْهُ يُعَدُّ هَذَا صِفَةً مَدْحٍ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ»<sup>(١)</sup>، وَخُدْعَةٌ مَعْنَاهُ: أَنْ فِي حَالِ الْحَرْبِ يُنْظَرُ إِلَى الدَّهَائِ وَإِلَى شِدَّةِ الْمَكْرِ.

إِذَنْ لَا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَكْرِ وَالْكِيدِ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْيِيدِ.

[١] قوله: «نَجِيًّا» الْمُنَاجَاةُ هِيَ الْكَلَامُ عَنْ قُرْبٍ، وَالْمُنَادَاةُ هِيَ الْكَلَامُ عَنْ بُعْدٍ؛ وَلِهَذَا تَكُونُ الْمُنَاجَاةُ بِصَوْتٍ خَفِيِّ، وَالْمُنَادَاةُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ، وَ(نَجِيًّا) فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: الحرب خدعة، رقم (٣٠٢٨)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، رقم (١٧٤٠).



وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالتَّكْلِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيهِمْ أَسْتَخْلِفُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، وَلَيْسَ التَّكْلِيمُ كَالْتَّكْلِيمِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّنْبِيْهِ، وَوَصَفَ بَعْضَ الْخَلْقِ بِالتَّنْبِيْهِ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنَ أَبْنَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ [التحریم: ٣]، وَلَيْسَ الْإِنْبَاءُ كَالْإِنْبَاءِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّعْلِيمِ وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالتَّعْلِيمِ فَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]، وَقَالَ: ﴿تُعَلِّمُوهُمْ مِّمَّا عَلَّمَكُمُ﴾ [المائدة: ٤]، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وَلَيْسَ التَّعْلِيمُ كَالْتَّعْلِيمِ.

وَهَكَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْغَضَبِ فَقَالَ: ﴿وَعُذِّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح: ٦]، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْغَضَبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وَلَيْسَ الْغَضَبُ كَالْغَضَبِ<sup>[١]</sup>.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَى عَرْشِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ فِي سَبْعِ مَوَاضِعَ<sup>[٢]</sup>.....

[١] كلام المؤلف رحمه الله في كل ما سبق واضح، وقد تقدّم شرحه.

[٢] قوله: «سَبْعِ مَوَاضِعَ» رُبَّمَا يَكُونُ فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ لَحْنٌ، أَيْ: مُخَالَفَةٌ لِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَالْصَّوَابُ (سَبْعَةُ مَوَاضِعَ).